الفصل الثاني

الاختلاف والتناقض في الإلوهية عند اليهود

ويتضمن ثلاثة مباحث وهي على النحو الآتي:

- المبحث الأول: الاختلاف والتناقض في الصفات الإلهية
- المبحث الثاني: الاختلاف والتناقض في تشبيه الإله وتجسيمه
- المبحث الثالث: الاختلاف والتناقض في وعد الله ووعيده ومكان وجود الإله

المبحث الأول
الاختلاف والتناقض في صفات الله

ويتضمن سبعة مطالب وهي على النحو الآتي:

- المطلب الأول: الاختلاف والتناقض في صفة الندم والكذب
- المطلب الثاني: الاختلاف والتناقض في صفة القدرة والعجز
- المطلب الثالث: الاختلاف والتناقض في صفة التعب والاستراحة
- المطلب الرابع: الاختلاف والتناقض في صفة النعاس والنوم
- المطلب الخامس: الاختلاف والتناقض في صفة العلم والجهل
- المطلب السادس: الاختلاف والتناقض في صفة العدل والظلم
- المطلب السابع: الاختلاف والتناقض في صفة الرحمة والمغفرة

المطلب الأول
الاختلاف والتناقض في صفة الندم والكذب

اختلفت الأسفار اليهودية في مسألة ندم الله (ﷻ) على شيء فعله, أو لم يفعله إذ ذكرت بعض الأسفار أنّ الله (ﷻ) ليس كمثل البشر وضعفهم فهو لا يندم ولا يكذب, لأنّ الندم والكذب صفة الإنسان الجهول بعواقب الأمور, فتقول: " **لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ, وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ** "(١) وتروي الأسفار في موضع آخر كلام الربّ عن نفسه, فيقول: " **أَنَا الرَّبَّ تَكَلَّمْتُ, يَأْتِي فَأَفْعَلُهُ لاَ أُطْلِقُ وَلاَ أُشْفِقُ وَلاَ أَنْدَمُ** "(٢), وورد في سِفْر صموئيل أنّ الربّ جعل شاول ملكاً على بني إسرائيل وأمره بقتال العماليق, حيث قال صموئيل واصفاً الربّ بأنه: " **لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانًا لِيَنْدَمَ** "(٣).

فهذه النصوص الثلاثة التي ذكرها الأسفار تبين بدلالة قاطعة أنّ الربّ لا يندم ولا ينبغي له ذلك, ولكن سرعان ما نجد أنّ هذه الأسفار تناقض بعضها بعضاً وتثبت صفة الندم لله (ﷻ) في مواضع كثيرة, على أمور صنعها أو لم يصنعها, فقد ذكر صموئيل وفي السِّفْر نفسه, أنّ الربّ ندم على اختيار شاول لِمُلك بني إسرائيل, حيث يقول: " **نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا** "(٤), وفي موضع كلامه عن هلاك بني إسرائيل, قال: " **فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ كَفَى الآنَ رُدَّ يَدَكَ** "(٥), وهذا يخالف ما ذُكِر آنفاً.

---

(١) عد: (٢٣: ١٩).

(٢) حز: (٢٤: ١٤).

(٣) ١صم: (١٥: ٢٩).

(٤) ١صم: (١٥: ١١), تزعم الأسفار أنّ الله (ﷻ) ندم على تولية شاول للملك لأنه لم ينفذ كلامه, إذ بُعث صموئيل إلى شاول يخبره بأنّ الربّ يأمره بقتل وسحق كلّ احد من أهل مدينة العماليق, ولا يستثني منهم أحداً, وأمره بقتل الرضّع والأطفال والنساء, بل حتى الحيوان, وتذكر الأسفار أنّ شاول لم يلتزم أمر الربّ بدقة, فقتل جميع البشر والحيوانات الهزيلة, وعفا عن الحيوانات السليمة, وعلى هذا سخط الربّ عليه وندم على أن جعله ملكاً. **ينظر**: ١صم: (١٥: ٢, ٣), و١صم: (١٥: ٨- ١١).

(٥) **ينظر**: ٢صم: (٢٤: ١٦).

وورد في سِفْر التكوين أنّ الربّ عندما رأى شرّ الإنسان كثر في الأرض؛ حزن كثيراً وندم, فقال: " فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ فَقَالَ الرَّبُّ أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ... لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ "[1].

وفي سِفْر الخروج يحاور موسى ربه ويطلب منه أن يرجع حُمُوّ غضبه عن شعبه مذكراً إيّاه بأنه شعب عبيدك إبراهيم وإسحاق وإسرائيل فيقول: " فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ "[2].

وتحدثت الأسفار عن قصة بني إسرائيل مع الربّ وأنه ندم على ما فعله بهم بعد وفاة يشوع, حيث قام جيل آخر لم يعرف الربّ ولا العمل, فتركوا إله آبائهم وساروا وراء آلهة أخرى وعبدوا البعل[3] وعشتاروت[4], فيقول سِفْر القضاة: " فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ "[5], ثم بعد ذلك تراجع غضب الربّ عليهم وأرسل من ينقذهم " وَأَقَامَ الرَّبُّ قُضَاةً فَخَلَّصُوهُمْ مِنْ يَدِ نَاهِبِيهِمْ "[6], ويُعلِّل السِّفْر نفسه سبب مبعث الربّ للقضاة وإنقاذ بني إسرائيل, بقوله: " لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ "[7].

---

(١) تك: (٦: ٦, ٧).

(٢) خر: (٣٢: ١٤).

(٣) البَعْل وجمعه بَعليم: اسم سامي معناه ((رب أو سيد أو زوج)) وهو إله كنعاني, وكان إليه المزارع وربّ الخصب في الحقول وفي الحيوانات والمواشي. **ينظر:** قاموس الكتاب المقدس: ص(١٨١), والمسيري, موسوعة اليهود واليهودية: (١/٤٠٨).

(٤) عَشْتَارُوت: وهي الآلهة الرئيسية في كل من بابل وآشور ومدن الفينيقيين الذين سموها (عشتار), رمزت إلى القمر والشمس, انتقلت عبادتها إلى بني إسرائيل أيام الملك سليمان, واستمرت حتى مجيء يوشيا (٦٣٨ ق.م), سُمِّيت عند السومريين (الأم العذراء) واليونانيين (أسترتي). **ينظر:** المنجد في الأدب والعلوم: ص(٣٥١), وقاموس الكتاب المقدس: ص(٦٢٨).

(٥) قض: (٢: ١٤).

(٦) قض: (٢: ١٦).

(٧) قض: (٢: ١٨), وورد في التلمود: " **يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويبكي كل يوم, فتسقط من عينه دمعتان في البحر, فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه** ". **ينظر:** د. وهلنج, (ترجمة) د. يوسف نصر الله, الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص(٥٦).

وورد في سِفْر إرميا أنّ الله (ﷻ) نسب الندم إلى نفسه, حين بعث إرميا لبني إسرائيل وأمره أن يدعوهم إلى شريعته لعلهم يسمعون ويرجعون, فقال: " فَأَنْدَمَ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهِمْ مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِهِمْ "[1] وبعد تمردهم على الربّ, عاقبهم, ثم قال نادماً في حقهم: " إِنِّي نَدِمْتُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي صَنَعْتُهُ بِكُمْ "[2], ويستمر السِّفْر نفسه في عرض ندمّ الربّ حتى يروي أنّ الربّ قال: " يَقُولُ الرَّبُّ: إِلَى الْوَرَاءِ سِرْت... مَلِلْتُ مِنَ النَّدَامَةِ "[3].

ويذكر سِفْر يونان أنّ الربّ يندم على ما فعل وما كان سيفعل؛ فقال واصفاً إيّاه بشأن قومه: " نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ فَلَمْ يَصْنَعْهُ "[4], وتختم الأسفار ندم الربّ بموضعين في سِفْر عاموس نحو حديثه عن يعقوب وما جرى له وهو صغير, فتقول: " فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى هذَا فَهُوَ أَيْضًا لاَ يَكُونُ "[5]. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

أما المسلمون:

فيرون أنّ الندم والكذب من الصفات الذميمة التي لا يجوز أن يتصف الإله بها, وهذا مما علم من الدين بالضرورة وشهدت به الفطرة السليمة والعقول المستقيمة, وهو اعتقاد كلّ من يؤمن حق الإيمان بوجود الله تعالى وكمال علمه وقدرته, فإنّ الله (ﷻ) منزه عن كلّ نقص وعيب, إذ الندم نتاج الخطأ أو العجز أو الجهل, والكذب نتاج الوهم أو الخديعة, وكلاهما نقص, فلا يوصف بها سبحانه أبداً لأنه يتنافى مع كماله وحكمته وهي ممتنعة عنه, قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾[6], وقال سبحانه في

---

(١) إر: (٢٦: ٣).

(٢) إر: (٤٢: ١٠).

(٣) إر: (١٥: ٦).

(٤) يون: (٣: ١٠).

(٥) عا: (٧: ٣, ٦).

(٦) سورة النساء: ١٢٢.

موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[1] أي: لا أحدَ أصدقُ من الله[2].

(١) سورة النساء: ٨٧.

(٢) **ينظر**: القرطبي, الجامع لأحكام القرآن: (٣٩٦/٥), وابن قيم الجوزية, مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: (٧٥/٢), ومحمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي الدمشقي ت (٧٩٢هـ), شرح العقيدة الطحاوية: (١٨٧/١), دار السلام للطباعة والنشر, مصر, ط١, ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م, تحقيق: جماعة من العلماء, وابن عجيبة, البحر المديد: (١١٣/٢).

المطلب الثاني

الاختلاف والتناقض في صفة القدرة والعجز

تناقضت الأسفار اليهودية في وصف قدرة الله (ﷻ) وعجزه, فهي تصفه بالقدرة التامة تارة, وبالعجز تارة أخرى, فقد وصفته بعض الأسفار بوصف حقٍّ, حين نَصَّت على أنه: " لاَ إِلهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ "(١), وورد في سِفْر التكوين: " وَاللهُ الْقَدِيرُ يُعْطِيكُمْ رَحْمَةً "(٢) وفي موضع آخر ومن السِّفْر نفسه: " وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ "(٣), ويروي السِّفْر نفسه أيضاً ما جاء في معنى القدرة, فيقول: " هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ "(٤).

وتذكر التوراة في موضع آخر أنّ الربّ كلّم موسى (عليه السلام) عن قدرته, فتقول: " ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: أَنَا الرَّبُّ... الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ "(٥), ووُصف الله - جلّ وعلا - في سِفْر ناحوم بأنه: " بَطِيءُ الْغَضَبِ وَعَظِيمُ الْقُدْرَةِ "(٦) وفي سِفْر التكوين بالإله القدير: " أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ "(٧).

وتروي بعض الأسفار أنّ الربّ عظيم القوة وشديد القدرة, وهذا ما جاء في سِفْر إشعياء, إذ يذكر أنّ الربّ وبَّخَ بني إسرائيل حينما وصفوه بالعجز وشبَّهوه بغيره, فقال: " ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ, لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ "(٨), وقال حزقيال في سِفْره واصفاً

---

(١) طو: (١٣: ٤).

(٢) تك: (٤٣: ١٤).

(٣) تك: (٤٨: ٣).

(٤) تك: (١٨: ١٤).

(٥) خر: (٦: ٢, ٣).

(٦) نا: (١: ٣).

(٧) تك: (١٧: ١), (٣٥: ١١).

(٨) إش: (٤٠: ٢٦).

الربّ وكمال قدرته: " أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ... أَنْتَ هُوَ الإِلهُ وَحْدَكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ, أَنْتَ وَحْدَكَ صَنَعْتَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ "[١].

وقد جاء نقيض هذا المعتقد في مواطن كثيرة من الأسفار, حيث نسبت لله (ﷻ) العجز والضعف, ومن ذلك عجز الإله عند مصارعة يعقوب (عليه السلام), إذ ورد في سِفْر التكوين عندما صارع الربّ يعقوب " رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ "[٢] وبعد استمرار وقت المصارعة طلب الربّ من يعقوب أن يطلقه, فقال: " أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ فَقَالَ لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي فَقَالَ لَهُ مَا اسْمُكَ فَقَالَ يَعْقُوبُ فَقَالَ لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ "[٣] فنَصَّت هذه الفقرات بدلالة قاطعة على أنّ يعقوب صارع الربّ وقدر عليه. تعالى الله عما يقولون

ولقد حاول بعض اليهود سدّ هذه الثغرة الشنيعة, والعيب الواضح في كتابهم بوصفهم أنّ الربّ صارع يعقوب فانتصر يعقوب عليه, فقالوا: إنّ هذا الذي صُرِع لم يُقصد به الربّ سبحانه, بل هو ملاك الربّ[٤], وممن تبنى هذا القول من اليهود سعديا الفيومي[٥].

أما ما جاء من قول محققي نسخة الرهبانية اليسوعية فإنه يخالف ما ذهب إليه الفيومي بل ويثبت خلافه, إذ قالوا: " إنّ المقصود من هذه الرواية الغامضة هو الصراع

---

(١) ٢مل: (١٩: ١٥).

(٢) تك: (٣٢: ٢٥).

(٣) تك: (٣٢: ٢٦- ٢٨).

(٤) **ينظر**: فتحي محمد الزعبي، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية: ص(٦٥٤). ولقد رد الإمام ابن حزم على من قال بهذا القول وأثبت أنّ النصّ يدل على أنّ المصارع هو الله سبحانه وتعالى. الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١/٢٣٢, ٢٣٣).

(٥) سعديا الفيومي: هو سعديا بن يوسف بن يعقوب المصري أحد حاخامات – فقهاء – اليهود, ويُدعى أيضاً (سعديا جاءون), وُلد في مصر سنة (٨٨٣ – ٩٤٣) في قرية أبو صويرة في الفيوم, تلقى في قريته تعليماً عربياً كما درس الكتاب المقدَّس والتلمود، ثم توجَّه إلى فلسطين حيث أكمل دراسته, ويُعَدُّ سعديا أول من وضع فلسفة دينية يهودية متكاملة حول أُسس العقيدة اليهودية, ومن أشهر مؤلفاته كتاب "الأمانات والاعتقادات". **ينظر**: أدورد فنديك, إكتفاء القنوع: ص(١٨٦), المسيري, موسوعة اليهود واليهودية: (٢/٣٨).

الجسدي، أي صراع مع الله، يبدو فيه يعقوب الغالب أولاً ولكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية اغتصب بركته "[١].

وجاء في سِفْر العدد أنّ بني إسرائيل كذبوا الربّ وأهانوه بأقوالهم وأفعالهم, وأنّه غير قادر عليهم؛ لعجزه وضعفه وهو يُخبر موسى بذلك, فيقول: " وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي "[٢].

ومن افتراءاتهم أيضاً أنّ الربّ عجز عن طرد الكنعانيين, بل خشي منهم لأنهم كانوا يمتلكون مركبات حديدية, فتقول الأسفار: " وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَهُوذَا فَمَلَكَ الْجَبَلَ، وَلكِنْ لَمْ يَطْرُدْ سُكَّانُ الْوَادِي: لأَنَّ لَهُمْ مَرْكَبَاتِ حَدِيدٍ "[٣] فكان ذلك سبباً لعجزه عنهم.

أما المسلمون:

فيرون أنّ صفة القدرة وكمالها ثابتة في حقِّ الله (ﷻ) فهو سبحانه القادر على كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٥] حيث نبَّه الله – سبحانه وتعالى – في آخر الآية على دليل انتفاء العجز وهو كمال العلم والقدرة, فإنّ العجز إنما ينشأ إمّا من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل، وإمّا من عدم علمه به، والله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض, وهو على كلّ شيء قدير, وقد اتفقت العقول والفطر على كمال قدرته وعلمه، فانتفى العجز، لما بينه وبين القدرة من التضاد؛ ولأنّ العاجز لا يصلح أن يكون إلَهاً[٦].

---

(١) د. منقذ محمود السقار, هل العهد القديم كلمة الله: ص(٦٠).

(٢) عد: (١٤: ١١).

(٣) قض: (١: ١٩).

(٤) سورة آل عمران: ١٨٩.

(٥) سورة فاطر: ٤٤.

(٦) ينظر: ابن أبي العز الحنفي, شرح العقيدة الطحاوية: (١/١٠٩).

المطلب الثالث

الاختلاف والتناقض في صفة التعب والاستراحة

اضطربت عقيدة اليهود في نسبة التعب إلى الله (ﷻ), فنجدهم يقيناً ينفون عنه صفة التعب والاستراحة تارة ويثبتونها تارة أخرى, ومن ذلك ما جاء في سِفْر إشعياء, إذ ورد فيه أنّ الربّ خلق أطراف الأرض من دون أن يمسه تعب ولا إعياء, فيقول: " خَالِقُ أَطْرَافِ الأَرْضِ لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَعْيَا "[1].

وهذه القدرة التي أثبتتها أسفار التوراة لله (ﷻ) خالفت وناقضت عدّة نصوص وردت في مواضع أُخر من التوراة نصَّت على أنّ الله - سبحانه - يتعب ويحتاج إلى الاستراحة التي لا غناء للمتعب عنها بعد طول العمل والعناء, وهذا ما أشار إليه سِفْر التكوين في معرض حديثه عن خلق السماوات والأرض, إذ يقول: " فَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ "[2], وورد في سِفْر الخروج: " فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ[3] اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ "[4].

وتذكر الأسفار أنّ الربّ بعد خلق السماوات والأرض طلب أن يكون له مكان يستريح فيه, فقال: " أَيْنَ مَكَانُ رَاحَتِي؟ "[5].

وليس تعب الربّ في الأسفار اليهودية مقتصراً على خلق السماوات والأرض فحسب، بل تجعل بعض الأسفار الربّ يتعب من أمور أُخر، حيث يروي سِفْر ملاخي أنّ

---

(١) إش: (٤٠: ٢٨).

(٢) تك: (٢: ٢).

(٣) يعتقد اليهود أنّ اليوم السابع الذي استراح فيه الربّ بعد خلق السماوات والأرض هو يوم السبت, إذ تذكر التوراة أنّ من وصاياهم: " سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً ". **ينظر**: خر: (٢٠: ٩, ١٠).

(٤) خر: (٢٠: ١١).

(٥) إش: (٦٦: ١).

الربّ تعب من كلام بني إسرائيل, فيقول: " لَقَدْ أَتْعَبْتُمُ الرَّبَّ بِكَلاَمِكُمْ "[1], وجاء في سِفْر إرميا: " وَلَمْ يَسْتَطِعِ الرَّبُّ أَنْ يَحْتَمِلَ بَعْدُ مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ "[2].

أما المسلمون:

فيعتقدون أنّ التعب والاستراحة من الصفات الذميمة التي يتنزه الباري عنها سبحانه، وقد ردَّ القرآن الكريم هذه الافتراءات والأكاذيب في سورة ق, إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[3], فنزه الله (ﷻ) نفسه عن مسّ اللُّغوب، ليُبيِّن كمال قدرته, فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال، منزه عن كل نقص وعيب[4], وورد في أسباب النزول: أنّ هذه الآية نزلت في يهود المدينة عندما زعموا أنّ الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام واستراح[5].

قال المفسرون: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾؛ أي: وما أصابنا من إعياء, ولا نصب, ولا تعب[6]. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[7], وقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[8].

---

(١) ملا: (٢: ١٧).

(٢) إر: (٤٤: ٢٢).

(٣) سورة ق: ٣٨.

(٤) **ينظر**: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين الآلوسي ت (١٣١٧هـ), جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: (٤٤٨/١), مطبعة المدني, القاهرة, ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٥) علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ت (٤٦٨هـ), أسباب النزول: (٣٦٩/١), مؤسسة الحلبي وشركائه, القاهرة, ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م, والسيوطي, الدر المنثور: (٤٨٠/١١).

(٦) **ينظر**: الطبري, جامع البيان في تأويل القرآن: (٣٧٥/٢٢), والماوردي, النكت والعيون: (٣٥٦/٥), والقرطبي, الجامع لأحكام القرآن: (٢٣/١٧) وابن كثير, تفسير القرآن العظيم: (٤٠٩/٧), وابن عجيبة, البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: (٢٨٤/٧), وابن عاشور, التحرير والتنوير: (٥٤/٢٤).

(٧) سورة يس: ٨٢.

(٨) سورة القمر: ٥٠.

المطلب الرابع

الاختلاف والتناقض في صفة النعاس والنوم

اختلفت الأسفار اليهودية فيما بينها في إثبات صفة النعـــاس والنـــوم لله (ﷻ), فذكرت بعض الأسفار أنّ الله (ﷻ) خالق السماوات والأرض منـــزه عن النعاس والنوم, وأنه سبحانه لا ينبغي له ذلك, فتقول إنّ: " الرَّبَّ صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ, لاَ يَدَعُ رِجْلَكَ تَزِلُّ, لاَ يَنْعَسُ حَافِظُكَ إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ "[1].

وسرعان ما نجد أنّ هذا الاعتقاد قد تناقض في التوراة[2], إذ يروي السِّفْر نفسه أنّ الربّ شرب الخمر و لم يسيطر على نفسه فنام, فيقول: " فَاسْتَيْقَظَ الـرَّبُّ! كَنَـائِمٍ كَجَبَّـارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ "[3], وفي موضع آخر " اِسْتَيْقِظْ! لِمَاذَا تَتَغَافَى يَا رَبُّ "[4].

وجاء في سِفْر زكريا أن الربّ استيقظ من نومه, بسبب ضجيج بني إسرائيل عليه فقال: " اُسْكُتُوا يَا كُلَّ الْبَشَرِ قُدَّامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِهِ "[5] وهذا يناقض ما ذكر آنفاً.

أما المسلمون:

فيقولون كما علّمهم ربهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة, إذ قال تعالى: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[6] قـــال

---

(١) مز: (١٢١: ٣).

(٢) وورد في التلمود أنّ الله (ﷻ) ينام في الليل, ويستيقظ في النهار, وقد قسّم وقته على اثنتي عشرة ساعة وهـــو يداوم عليها كلّ يوم, فيقول: " إنَّ النهار اثنتا عشرة ساعة: الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة, وفي الثلاث الثانية يحكم, وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم, وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك...". **ينظر**: د. يوسف نصر الله, الكنـــز المرصود في قواعد التلمود: ص(٥٥).

(٣) مز: (٧٨: ٦٥).

(٤) مز: (٤٤: ٢٣).

(٥) زك: (٢: ١٣).

(٦) سورة البقرة: ٢٥٥.

المفسرون: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ[1] وَلَا نَوْمٌ﴾؛ أي: لا يأخذه نعاس فينعس، ولا نوم فيستثقل نوماً[2].

وجاء في الحديث الصحيح: (إنَّ الله لا يَنامُ ولا يَنبغِي لهُ أن يَنامَ...)[3]، قال النووي: " ومعناه الإخبار أنه تعالى لا ينام وأنه مستحيل في حقه النوم, فإنّ النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس والله منزه عن ذلك وهو مستحيل في حقه "[4]؛ ولأن ذلك يتضمن كمال حياته وقيُّوميَّته، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[5] فهو سبحانه حيٌّ لا يموت، قيُّوم لا ينام[6].

---

(١) السِّنَةُ: النُّعَاس وهو النوم الخفيف، والوَسْنَان: بين النائم واليقظان, والنَّوْمُ: هو الثقيل المزيل للقوة والعقل. **ينظر**: ابن سيده, المخصص: (٤٩٣/١), وابن منظور, لسان العرب: (٤٤٧٣/٦, ٤٨٣٩).

(٢) **ينظر**: الطبري, جامع البيان في تأويل القرآن: (٣٨٩/٥), وأبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت (٣٢٧هـ), تفسير ابن أبي حاتم: (١٣٥/٣), المكتبة العصرية, مصر, تحقيق: أسعد الطيب, والماوردي, النكت والعيون: (٣٢٤/١), والبغوي, معالم التنزيل: (٣١٢/١), والسيوطي, الدر المنثور: (١٦/٢).

(٣) **أخرجه**: مسلم في صحيحه, كتاب الإيمان, باب- قوله (ﷺ) إنّ الله لا ينام: (١٦١/١) برقم (١٧٩), وابن ماجه في سننه, كتاب الإيمان وفضل العلم, باب- فيما أنكرت الجهمية: (٧٠/١) برقم (١٩٥), وأبو يعلى في مسنده: (١٩٦/١٣) برقم (٧٢٦٢), من حديث أبي موسى الأشعري (ﷺ) قال: (قام فينا رسول الله (ﷺ) بأربع: إنَّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام, يرفع القسط ويخفضه, ويرفع إليه عمل النهار بالليل, وعمل الليل بالنهار).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: (١٣/٣), **وينظر**: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ت (٩١١هـ), الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: (٢٢٤/١), دار ابن عفان, المملكة العربية السعودية, ط١, ١٤١٦هـ/١٩٩٦, تحقيق: أبي إسحاق الحويني, وينظر: زين الدين عبد الرؤوف المناوي ت (١٠٣١هـ), التيسير بشرح الجامع الصغير: (٥٣٦/١), مكتبة الإمام الشافعي, الرياض,ط٣, ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٥) سورة الفرقان: ٥٨.

(٦) **ينظر**: ابن أبي العز الحنفي, شرح العقيدة الطحاوية: (١٢٠/١), والآلوسي, جلاء العينين: (٤٤٨/١).

المطلب الخامس
الاختلاف والتناقض في صفة العلم والجهل

تحدثت الأسفار اليهودية عن علم الله (ﷻ) ومعرفته بكلّ شيء دبّ على الأرض, إذ وصفته بعض الأسفار بوصف حقٍّ, حين نَصَّت على أنه إله سميع عليم بمعرفة ما يصنع عباده فوق الأرض, وهذا ما ورد في سِفْر التثنية, حيث يروي أنّ الربّ يخبر قوم موسى (عليه السلام) بأنهم إذا تمسكوا بوصاياه أبدلهم بأرض خير من أرض مصر وأنه لا يغفل عنهم, فيقول: " عَيْنَا الرَّبِّ إِلهِكَ عَلَيْهَا دَائِمًا مِنْ أَوَّلِ السَّنَةِ إِلَى آخِرِهَا "[1], وقال: " عَيْنَيِ الرَّبِّ تَجُولاَنِ فِي كُلِّ الأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ "[2].

ووُصِف الله (ﷻ) في غير موضع من أسفارهم بأنه ناظر جميع أفعال عباده خيرهم وشرهم, فقال: " فِي كُلِّ مَكَانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَانِ الطَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ "[3], بل قد نُهِي بنو إسرائيل في نصوص التوراة عن مخاطبة الربّ بالكلام المستعلي غير الواضح؛ لأنه إله سميع عليم بكل شيء, فجاء في سِفْر صموئيل: " لَيْسَ قُدُّوسٌ مِثْلَ الرَّبِّ... لاَ تُكَثِّرُوا الْكَلاَمَ الْعَالِيَ الْمُسْتَعْلِيَ, وَلْتَبْرَحْ وَقَاحَةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ, لأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ عَلِيمٌ وَبِهِ تُوزَنُ الأَعْمَالُ "[4].

ويذكر سِفْر التكوين قصة الملك أبيمالك[5], مع سارة زوج إبراهيم (عليه السلام), وأنّ الملك لم يطلبها إلا بعد أن علم أنّ إبراهيم أخوها وأنها غير متزوجة, فيروي السِّفْر نفسه أنّ الربّ جاء إلى أبيمالك في الحلم وقال له: " هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَهَا، فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِبَعْلٍ, وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ أَبِيمَالِكُ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهَا "[6], فقال أبيمالك للربِّ مُعلِّلاً

---

(١) تث: (١١: ١٢).

(٢) ٢أخ: (١٦: ٩).

(٣) أم: (١٥: ٣).

(٤) ١صم: (٢: ٢, ٣).

(٥) أَبِيمَالِك: اسم عبري معناه ((أبو ملك)) وهو اسم لملك في فلسطين عاش في عصر إبراهيم (عليه السلام), جاء إبراهيم إلى بلاده ومعه سارة زوجته وقال عنها إنها أخته, وبعد ذلك دخل إبراهيم (عليه السلام) مع أبيمالك في عهد بشأن آبار المياه التي تخاصم عليها رجالهما، وسُمِّي ذلك المكان بئر سبع. **ينظر**: قاموس الكتاب المقدس: ص(٢٣).

(٦) تك: (٢٠: ٣).

ما فعل: " أَلَمْ يَقُلْ هُوَ لِي إِنَّهَا أُخْتِي وَهِيَ أَيْضًا نَفْسُهَا قَالَتْ هُوَ أَخِي, بِسَلاَمَةِ قَلْبِي وَنَقَاوَةِ يَدَيَّ فَعَلْتُ هذَا "[1], ويذكر السِّفْر نفسه أنّ الله (ﷻ) صدّق قول الملك؛ لأنه يعلم ما في قلبه وأنه بمشيئته سبحانه منعه من أن يمسها, فيقول السِّفْر: " فَقَالَ لَهُ اللهُ فِي الْحُلْمِ, أَنَا أَيْضًا عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هذَا وَأَنَا أَيْضًا أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ، لِذلِكَ لَمْ أَدَعْكَ تَمَسُّهَا "[2].

ولكن هذه الصفات تنقضها الشريعة اليهودية بنصوص أسفارها الأخرى, إذ جعل سِفْر التكوين الربّ جاهلاً ببعض صنائع عباده, إذ يروي السِّفْر أنّ آدم (عليه السلام) اختبأ في الجنة عندما أكل من الشجرة وأصبح عرياناً والإله يبحث عنه, فيقول: " فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ؟ "[3], ولما جهل الربّ ما فعله آدم قال له: " مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا "[4].

---

(١) تك: (٢٠: ٥).

(٢) تك: (٢٠: ٦), وردت هذه القصة في الصحيحين من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: إنّ رسول الله (ﷺ) قال: (لم يكذب إبراهيم النبي (عليه السلام) قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[الصافات : ٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[الأنبياء : ٦٣] وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إنّ هذا الجبار إن لا يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك, فإن سأل فأخبريه أنك أختي فإنك أختي في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك, فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتى بها, فقام إبراهيم (عليه السلام) إلى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها, فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى, فقال لها: مثل ذلك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال: ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله أن لا أضرك؛ ففعلت وأطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان و لم تأتني بإنسان فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر, قال: فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم (عليه السلام) انصرف فقال لها مهيم؟ قالت خيراً كف الله يد الفاجر وأخدم خادماً). قال أبو هريرة: (فتلك أمكم يا بني ماء السماء). رواه البخاري في صحيحه, كتاب الأنبياء, باب- قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[النساء : ١٢٥]: (٣/١٢٢٥) برقم (٣١٧٩), ومسلم في صحيحه, كتاب الفضائل, باب- فضائل إبراهيم الخليل: (٤/١٨٤٠) برقم (٢٣٧١).

(٣) تك: (٣: ٩).

(٤) تك: (٣: ١١).

وهذا النصّ فيه نسبة قصور العلم إلى الله تعالى حيث خفي عليه مكـــان آدم في الجنة فاحتاج إلى أن يسأله عن ذلك !

وورد في السِّفْر نفسه أنّ أهل بابل عندما همّوا ببناء مدينتهم وبرجهم, جهل الربّ عملهم هذا وأراد أن يعرف ماذا يصنعون, فيقول: " فَنَـزَلَ الـرَّبُّ لِيَنْظُـرَ الْمَدِينَـةَ وَالْبُـرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا "(١).

وتصف التوراة بعد ذلك حال الربّ وكأنما خشي من اجتماع بني آدم وما سوف ينتج بعد بناء هذه المدينة والبرج, فقالوا: " هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَـةً وَبُرْجًـا رَأْسُـهُ بِالـسَّمَاءِ, وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ, فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُـرَ الْمَدِينَـةَ وَالْبُـرْجَ... وَقَالَ الرَّبُّ هُودَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ... هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَـسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ... فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَـاكَ عَلَـى وَجْـهِ كُـلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّـوا عَـنْ بُنْيَـانِ الْمَدِينَةِ "(٢).

فهل يعقل أنّ خالق السماوات والأرض, الربّ العظيم يخشى من إتمام هذا البرج, فيسعى لتفريقهم قبل أن يصل برجهم إلى السماء !

ويروي سِفْر الخروج أنّ الربّ عندما أراد أن يُدمِّر بيوت المـصريين, أمـر بـني إسرائيل أن يضعوا الدم على بيوتهم حتى يُميِّزها عن غيرها من بيوت المـصريين, فقـال: " فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّـاسِ... أَنَـا الرَّبُّ, وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَـا، فَـأَرَى الـدَّمَ وَأَعْبُـرُ عَـنْكُمْ، فَـلاَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلاَكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ "(٣).

فجعل الدم علامة للتمييز, دلالة قاطعة إلى جهل الربّ في التفريق بـين بيـوت الإسرائيليين والمصريين !.

---

(١) تك: (١١: ٥).

(٢) تك: (١١: ٤- ٨).

(٣) خر: (١٢: ١٢, ١٣).

وجاء في سِفْر إشعياء أنّ الربّ جهل أنّ صوت الماء (خرير)[١] وليس (هديراً)[٢] وهو يتضجر ويصف أصوات الشعوب, فيقول: " آهِ! ضَجِيجُ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ تَضِجُّ كَضَجِيجِ الْبَحْرِ، وَهَدِيرِ قَبَائِلَ تَهْدِرُ كَهَدِيرِ مِيَاهٍ غَزِيرَةٍ "[٣].

وتذكر التوراة أنّ الله (ﷻ) اتخذ قراراً بعقاب بني إسرائيل, ولكنّ موسى (عليه السلام) ناقشه وأرجعه عن قراره, فيقول: " وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ, فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ... فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ, وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ... اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ! اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ... فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ "[٤].

ومما يلفت النظر في هذا النصّ أنّ التوراة تشير إلى الله - جلّ وعلا - ليس بأنه ناقص علم فحسب, بل مُتسرِّع في قراراته أيضاً, إذ يأخذ القرار ثم يحاوره موسى ويُذكِّره بوعوده سابقاً, فيتراجع عن قراره! وكأنه نسي ما قاله سابقاً, فلما ذُكِّر ندم على ما قاله وفعله, ويُصوِّر النصّ من جانب آخر أنّ موسى (عليه السلام) وكأنه أعلم من الله (ﷻ), وأنه صاحب سلطان عليه بعلمه ورشده, والإله يُصغي إليه ويُنفِّذ نصائحه.

أما المسلمون:

فيعتقدون بما أخبرهم الله (ﷻ) به في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

(١) الخَرِيرُ: هو صَوتُ الماء, وخَرَّ الماءُ يَخِرُّ خَريراً. **ينظر:** الفراهيدي, العين: (١٣٩/٤), والجوهري, الصحاح: (٤٨٨/٣), وابن فارس, معجم مقاييس اللغة: (١٤٩/٢), وابن سيده, المخصص: (٤٥٩/٢).

(٢) الهَدِيرُ: هو صَوتُ الحَمَامِ كله. **ينظر:** الأزهري, تهذيب اللغة: (٤٤٦/١), وابن منظور, لسان العرب: (١٠١١/٢), والفيروزآبادي, القاموس المحيط: (٣١٥/٢).

(٣) إش: (١٧: ١٢).

(٤) خر: (٣٢: ٩- ١٤).

وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1], وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾[2]؛ فالله (ﷻ) هو العالم بكلّ شيء يعلم السرّ وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن, والذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم فلا تسقط ورقة إلا بعلمه ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه[3], قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[4] فقد أحاط علمُه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنِها، دقيقها وجليلها، وكلّ علم في الخلق إنما هو كائن بتعليمه ومشيئته، فما من صغيرة ولا كبيرة في خلقه إلا وتعلقت بعلمه[5].

(١) سورة التغابن: ٤.

(٢) سورة آل عمران: ٥.

(٣) **ينظر**: ابن قيم الجوزية, طريق الهجرتين وباب السعادتين: (٢١٢/١),

(٤) سورة غافر: ١٩.

(٥) **ينظر**: أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ت (١١٨٨هـ), لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: (١٤٩/١), مؤسسة الخافقين, دمشق, ط٢, ١٤٠٢هـ.

المطلب السادس
الاختلاف والتناقض في صفة العدل والظلم

اختلفت الأسفار اليهودية وتناقض مضمونها في عدل الله (ﷻ) وظلمه لعبيده, إذ ورد وصفه سبحانه في بعض الأسفار بأنه إله عادل بشريعته وحكمه وقضائه, فيذكر سِفْر التثنية أنّ الربّ أوصى بني إسرائيل بجُملة من الأحكام والفرائض وأمرهم أن يحفظوها ويعملوا بمقتضاها, فيقول: " فَاحْفَظُوا وَاعْمَلُوا, لأَنَّ ذلِكَ حِكْمَتُكُمْ وَفِطْنَتُكُمْ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كُلَّ هذِهِ الْفَرَائِضِ "(١).

ويخبر الربّ في السِّفر نفسه أنّ أيّ شعب عظيم يُريد أن يمتلك الأرض لابدّ من أن تكون له مثل هذه الأحكام والفرائض العادلة, فقال: " وَأَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مِثْلُ كُلِّ هذِهِ الشَّرِيعَةِ, الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ "(٢) ويقول في موضع آخر: " الْعَدْلَ الْعَدْلَ تَتَّبِعُ، لِكَيْ تَحْيَا وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ "(٣).

وجاء في المزامير مما نُسب إلى نبيّ الله داود (عليه السلام) أنه قال: " اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ "(٤), وقال: " الرَّبُّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ الْمُسْتَقِيم "(٥), ويروي السِّفْر نفسه أنّ هذه الأحكام ثابتة لا تتغير, فيقول: " ثَابِتٌ إِلَى الأَبَدِ أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا "(٦), وقال: " عَدْلُكَ عَدْلٌ إِلَى الدَّهْرِ، وَشَرِيعَتُكَ حَقٌّ "(٧).

وورد في سِفْر إرميا أنّ الربّ أوصى بني إسرائيل بالعدل وأن يُنقذوا المظلوم من يد الظّالم, فيقول: " قَالَ الرَّبُّ: أَجْرُوا حَقًّا وَعَدْلاً، وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ، وَالْغَرِيبَ

---

(١) تث: (٤: ٦).

(٢) تث: (٤: ٨).

(٣) تث: (١٦: ٢٠).

(٤) مز: (٧: ١١).

(٥) مز: (١١: ٧).

(٦) مز: (١١٩: ١٤٢).

(٧) مز: (١١٩: ١٤٢).

وَالْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ لاَ تَضْطَهِدُوا وَلاَ تَظْلِمُوا وَلاَ تَسْفِكُوا دَمًا زَكِيًّا "[1], ويروي سِفْر صفنيا أنّ الربّ منزه عن أن يَظلم أحداً, فيقول: " اَلرَّبُّ عَادِلٌ لاَ يَفْعَلُ ظُلْمًا "[2].

وتذكر بعض الأسفار جانباً من عدل الربّ في حكمه بين عباده, فتروي أنّ الإثم والبرّ يقع على الفاعل, فتقول: " اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ... بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ "[3], وفي سِفْر العدد: " وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا عَمِلَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ شَيْئًا مِنْ جَمِيعِ خَطَايَا الإِنْسَانِ، فَقَدْ أَذْنَبَتْ تِلْكَ النَّفْسُ, فَلْتُقِرَّ بِخَطِيَّتِهَا الَّتِي عَمِلَتْ، وَتَرُدَّ مَا أَذْنَبَتْ بِهِ بِعَيْنِهِ، وَتَزِدْ عَلَيْهِ خُمْسَهُ، وَتَدْفَعْهُ لِلَّذِي أَذْنَبَتْ إِلَيْهِ "[4].

وجاءت عدالة الله (ﷻ) في سِفْر التثنية حين نصَّ على أنّ الربّ لا يُعاقب الأبناء بذنب الآباء, ولا يُعاقب الآباء بذنب الأبناء بل كلّ واحد منهم يحاسب على فعله, فيقول: " لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ "[5] وفي سِفْر إرميا: " أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ "[6], وقال: " لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِماً وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ بَلْ: (كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ), كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ "[7].

وهذه العدالة الإلهية سرعان ما انحرف عنها اليهود والنصارى، إلى نحاتات ونحالات أفكار رهبانهم وقساوستهم الذين ابتدعوا واخترعوا لهم فكرة وعقيدة الفداء, التي تريحهم من التكاليف وتعينهم على اقتراف الآثام والموبقات, فقد جَعل كُتّابُ التوراة الله (ﷻ) يُعاقب الأبناء بذنب ما اقترفه الآباء من المعاصي والذنوب, ويُورثهم إيّاها جيلاً بعد جيل, حتى الجيل الثالث والرابع, وهذا ما نصّ عليه بعض أسفارهم, إذ يروي سِفْر إرميا

---

(١) إر: (٢٢: ٣).

(٢) صف: (٣: ٥).

(٣) حز: (١٨: ٢٠).

(٤) عد: (٥: ٥- ٧).

(٥) تث: (٢٤: ١٦).

(٦) إر: (٩: ٢٤).

(٧) إر: (٣١: ٢٩, ٣٠).

أنّ الربّ: " صَانِعُ الإِحْسَانِ وَمُجَازِي ذَنْبِ الآبَاءِ فِي حِضْنِ بَنِيهِمْ بَعْدَهُمُ، الإِلهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ "[1], بل قرنت بعض الأسفار اليهودية, مسألة وراثة الذنب بصفات الله (ﷻ) وإحسانه للآخرين, حيث ورد في سِفْر الخروج أنّ الربّ: " حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ... مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ "[2], ويُشير سِفْر العدد إلى أنّ الربّ يفتقد ذنُوب الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع, فيقول: " الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ... لاَ يُبْرِئُ بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ "[3], وفي موضع آخر: " أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلهٌ غَيُورٌ, أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ وَفِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ "[4].

وهذه النصوص تناقض ما ذُكِر آنفاً, بل تجعل الله (ﷻ) ظالماً في حكمه, إذا لا ذنب للابن أن يعاقب بجريرة أبيه.

ومن ذلك يروي سِفْر صموئيل أنّ داود (عليه السلام) سلّم سبعة أشخاص من أولاد شاول بأمر الربّ بأيدي أهل جبعون[5] ليقتلوهم بخطأ شاول؛ فصلبوهم على الجبل, فيقول: " قَالَ دَاوُدُ لِلْجِبْعُونِيِّينَ: مَاذَا أَفْعَلُ لَكُمْ؟ وَبِمَاذَا أُكَفِّرُ... فَقَالَ لَهُ الْجِبْعُونِيُّونَ: لَيْسَ لَنَا فِضَّةٌ وَلاَ ذَهَبٌ عِنْدَ شَاوُلَ وَلاَ عِنْدَ بَيْتِهِ... فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: الرَّجُلُ الَّذِي أَفْنَانَا وَالَّذِي تَآمَرَ عَلَيْنَا لِيُبِيدَنَا... فَلْنُعْطَ سَبْعَةَ رِجَال مِنْ بَنِيهِ فَنَصْلِبَهُمْ لِلرَّبِّ فِي جِبْعَةِ شَاوُلَ مُخْتَارِ الرَّبِّ. فَقَالَ الْمَلِكُ: أَنَا أُعْطِي...فَأَخَذَ الْمَلِكُ ابْنَيْ رِصْفَةَ[6] ابْنَةِ أَيَّةَ[7] اللَّذَيْنِ وَلَدَتْهُمَا لِشَاوُلَ:

---

(١) إر: (٣٢: ١٨).

(٢) خر: (٣٤: ٦, ٧).

(٣) عد: (١٤: ١٨).

(٤) تث: (٥: ٩).

(٥) جِبعُون: اسم عبري بمعنى ((تل))، وجبعَة: اسم قرية في فلسطين شمالي أورشليم, وهي المدينة الرئيسية للحويِّين من أهل كنعان, عندها انتصر يوشع بن نون على الكنعانيين, ويُطلق عليها جِبْعَة الله. **ينظر**: ١صم: (١٠: ٥), المنجد في الأدب والعلوم: ص(١٣١), وقاموس الكتاب المقدس: ص(٢٤٥).

(٦) رِصْفَة: اسم سامي معناه ((حَجر مُحمى)) أو ((فحم متوهج)) وهي سَرِيَّة أخذها "شاول" لنفسه من غير الإسرائيليين، فولدت له "أرموني" و"مغيبوشت" وهي من النساء المشهورات في العهد القديم, وقد حَرست جُثتي ابنيها اللذين صلبهما الجبعونيُّون وتركوهما على خشبة الصليب عدة أشهر ليلاً ونهاراً. **ينظر**: ٢صم: (٣: ٧), وقاموس الكتاب المقدس: ص(٤٠٥).

(٧) أيَّة: اسم عبري معناه ((صَقر)) وهو اسم أبي رِصفة سَرِيَّة شاول. **ينظر**: المصدر السابق: ص(١٤٥, ١٤٦).

أَرْمُونِيَ[١] وَمَفِيبُوشَثَ[٢]، وَبَنِي مِيكَالَ[٣] ابْنَةِ شَاوُلَ الْخَمْسَةَ الَّذِينَ وَلَدَتْهُمْ لِعَدْرِئِيلَ[٤] بْنِ بَرْزِلاَّيَ الْمَحُولِيِّ[٥]، وَسَلَّمَهُمْ إِلَى يَدِ الْجِبْعُونِيِّينَ، فَصَلَبُوهُمْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ، فَسَقَطَ السَّبْعَةُ مَعًا "[٦].

وبلغ بالأسفار اليهودية أن وصفت الإله بأنه شديد القسوة ومولع بالتدمير والتخريب, إذ نسبوا إليه أنه قال: " حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ, فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا... فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ, وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ... هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا, وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا "[٧], فما شأن وذنب المدن البعيدة عن مكان الحرب أن يقتل جميع من فيها !!

ويذكر سِفْر العدد قتال بني إسرائيل لأهل مديان, فيقول: " فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى أَلْفًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ إِلَى الْحَرْبِ... فَتَجَنَّدُوا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ, وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ

---

(١) أَرْمُونِي: اسم عبري معناه ((مُتعلِّق بالقصر)) اسم أحد أبناء شاول من سريَّته رِصفة، سلّمه داود مع ستة آخرين من أبناء شاول إلى الجبعونيِّين فصلبوهم انتقاماً للهجوم الذي قام به شاول على جبعون. **ينظر**: ٢صم: (٢١: ٨), وقاموس الكتاب المقدس: ص(٥١).

(٢) مَفِيبُوشَث: اسم عبري معناه ((إزالة الأصنام)) وهو اسم ابن شاول قتله الجبعونيُّون مع ستة من أسرته. **ينظر**: قاموس الكتاب المقدس: ص(٩٠٩).

(٣) مِيكَالُ: اسم عبري معناه ((من كالله)) وهي مخففة عن ميشائيل ابنة شاول الثانية, أمهرها داود بمئتي غُلفة من الفلسطينيِّين فأخذها امرأة, ولِحُبها لداود خلصت حياته من مكيدة كادها له أبوها شاول. **ينظر**: ١صم: (١٤: ٤٩, ١٨: ٢٧), وقاموس الكتاب المقدس: (٩٠٤).

(٤) عَدْرِئِيل: اسم عبري معناه ((الله عوني)) ابن برزلاي المحولي, زوَّجهُ شاول من ابنته البكر، مَيْرَب، التي كان قد وَعد داود بها. **ينظر**: ١صم: (١٨: ١٩), وقاموس الكتاب المقدس: ص(٦١٢).

(٥) بَرْزِلاَّيُ: اسم عبري معناه ((مصنوع من حديد)) حَمو ميكال ابنة شاول, لُقب بالْمَحُولِيّ نسبة إلى إبل مُحولة. **ينظر**: قاموس الكتاب المقدس: ص(١٦٩), (٨٤٤).

(٦) ٢صم: (٢١: ٣- ٩).

(٧) تث: (٢٠: ١٠- ١٦).

قَتْلاَهُمْ... وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ, وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ "[1].

وجاء في وصيَّة الإله ليشوع: " وَيَكُونُ عِنْدَ أَخْذِكُمُ الْمَدِينَةَ أَنَّكُمْ تُضْرِمُونَ الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ كَقَوْلِ الرَّبِّ تَفْعَلُونَ. انْظُرُوا. قَدْ أَوْصَيْتُكُمْ "[2].

ولم تقتصر هذه القسوة في أسفارهم على الإنسان والحيوان فحسب, بل تجاوزت حتى شملت النبات والجماد وعيون الماء, إذ ورد في سِفْر الملـــوك: " فَتَضْرِبُونَ كُلَّ مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ، وَكُلَّ مَدِينَةٍ مُخْتَارَةٍ، وَتَقْطَعُونَ كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، وَتَطُمُّونَ جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ، وَتُفْسِدُونَ كُلَّ حَقْلَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْحِجَارَةِ "[3].

أما المسلمون:

فيرون أنّ كلّ إنسان يُؤاخذ بفعله وجريرته, ولهم على ذلك أدلة كثيرة, ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[4] إذ لا تحملُ نَفْسٌ حاملَةٌ حِمْلَ نفسٍ أخرى من ذنوبها ولو كان المَدْعُوُّ ذا قُرْبى من أب أو ولد أو أخ[5]. وقـــال تعـــالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[6], وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[7] قـــال المفـــسرون: أي:

---

(١) عد: (٣١: ٦- ١٠).

(٢) يش: (٨: ٨).

(٣) ٢مل: (٣: ١٩).

(٤) سورة فاطر: ١٨.

(٥) **ينظر**: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي, تفسير ابن أبي حاتم: (٣٨/٢), الثعلبي: الكشف والبيـــان: (١٠٤/٨), والماوردي, النكت والعيون: (٤٦٨/٤), والسمين الحلبي, الدر المصون: (٧٢/١٥).

(٦) سورة فصلت: ٤٦.

(٧) سورة المدثر: ٣٨.

مرهونة، محبوسة عند الله تعالى بكسبها وعملها يوم القيامة, وهذا يُوجب ألا يُؤخذ أحدٌ بذنب أحدٍ، وإنما تتعلق العُقوبة بصاحب الذنب[1], قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾[2].

(١) **ينظر**: القرطبي, الجامع لأحكام القرآن: (٣٩٣/٧), وابن كثير, تفسير القرآن العظيم: (٢٧٣/٨), وجلال الدين السيوطي, الدر المنثور: (١٢٩/١٤), وأبو السعود, إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: (٦١/٩), وابن عجيبة, البحر المديد: (٢٧٥/٨).

(٢) سورة العنكبوت: ٤٠.

المطلب السابع
الاختلاف والتناقض في صفة الرحمة والمغفرة

وصفت بعض أسفار التوراة الله (ﷻ) بأنه إله سلام[١] وأنه غفور رحيم يغفر الذنب ولا يبالي, وهذا ما جاء في سِفْر الخروج إذ يذكر أنّ الربّ وصف نفسه لموسى (عليه السلام) في سيناء فقال له: " الرَّبُّ الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ... كَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ, حَافِظُ الإِحْسَانِ... غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ "[٢].

ويروي سِفْر العدد أنّ موسى (عليه السلام) يخبر قومه عن صفات الربّ وعظمته, فقال واصفاً اياه بأنه: " طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ "[٣] وفي موضع آخر من سِفْر المزامير: " الرَّبُّ رَؤُوفٌ، يَغْفِرُ الإِثْمَ وَلاَ يُهْلِكُ "[٤], وفي سِفْر نحميا: " الرَّبُّ غَفُورٌ وَحَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ "[٥].

وورد وصف الربّ في سِفْر التثنية بأنه إله رحيم لا يترك عبيده ولا يهلكهم مهما فعلوا من ذنوب إذا تابوا ورجعوا إليه, حيث يقول السِّفْر: " الرَّبُّ إِلهُكَ إِلهٌ رَحِيمٌ، لاَ يَتْرُكُكَ وَلاَ يُهْلِكُكَ "[٦] وفي غير موضع: " الَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكِ وَالَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكِ"[٧], وجاء في سِفْر المزامير أنّ داود (عليه السلام) قال في وصف ربه: " أَنْتَ يَا رَبُّ صَالِحٌ وَغَفُورٌ، وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ... فِي يَوْمِ ضِيقِي أَدْعُوكَ، لأَنَّكَ تَسْتَجِيبُ

---

(١) وصفت الأسفار اليهودية الله (ﷻ) بأنه (إله سلام أو صانع السلام) مرتين في نصوصها, **فالأول**: ما جاء في سِفْر أيوب, إذ قال: " السُّلْطَانُ وَالْهَيْبَةُ عِنْدَهُ, هُوَ صَانِعُ السَّلاَمِ فِي أَعَالِيهِ " [أي: (٢٥: ٢)], **والثاني**: ما ورد في سِفْر إشعياء, حيث قال: "مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ" [إش: (٤٥: ٧)], وهذا يوافق ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الذي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[الحشر : ٢٣], وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾[يونس : ٢٥].

(٢) خر: (٣٤: ٦, ٧).

(٣) عد: (١٤: ١٨).

(٤) مز: (٧٨: ٣٨).

(٥) نح: (٩: ١٧).

(٦) تث: (٤: ٣١).

(٧) مز: (١٠٣: ٣).

لِي, لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ... لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ "[1], ويذكر سِفْر إرميا أنّ الله تعالى أوحى إلى النبي إرميا بأنه هو الغفور الرحيم, فقال: " لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ "[2], ومدح ميخا الربَّ في سِفْره قائلاً: " مَنْ هُوَ إِلَهٌ مِثْلُكَ غَافِرُ الإِثْمَ وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لاَ يَحْفَظُ إِلَى الأَبَدِ غَضَبَهُ فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ, يَعُودُ يَرْحَمُنَا يَدُوسُ آثَامَنَا وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ "[3].

هذه الصفات الإلهية الحقّة التي جاءت في التوراة, تناقضت واختلفت بشكل واضح وصريح مع نصوص كثيرة وفي مواضع مختلفة من أسفارهم, إذ وَصَف سِفْر الخروج الربَّ بأنه رجل حرب, فقال: " الرَّبُّ رَجُلُ الْحَرْبِ الرَّبُّ اسْمُهُ "[4]؛ ولذلك تَوَّعد الربُّ بني إسرائيل على أن يعاقبهم على جميع ذنوبهم و لم يغفر لهم, فقال: " إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ، لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ "[5].

ويحكي سِفْر يشوع أنّ الربّ طرد جميع الشعوب من رحمته؛ لما ارتكبوه من الذنوب, ولا يستطيعون بعد اليوم أن يعبدوه؛ لأنه لم يسامحهم على ما فعلوه: " فَقَالَ يَشُوعُ لِلشَّعْبِ: لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ إِلهٌ قُدُّوسٌ وَإِلهٌ غَيُورٌ هُوَ لاَ يَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ "[6] وقال: " لاَ يُغْفَرَنَّ لَكُمْ هذَا الإِثْمُ حَتَّى تَمُوتُوا "[7].

وورد وصف الربّ في سِفْر ناحوم بأنه منتقم ولا يُبرِّئ أحداً من ذنبه, فيقول السِّفْر: " اَلرَّبُّ إِلهٌ غَيُورٌ وَمُنْتَقِمٌ, الرَّبُّ مُنْتَقِمٌ وَذُو سَخَطٍ الرَّبُّ مُنْتَقِمٌ... وَعَظِيمُ الْقُدْرَةِ، وَلكِنَّهُ لاَ يُبَرِّئُ الْبَتَّةَ "[8], ويذكر سِفْر أيوب, أنّ نبي الله أيوب عاتب ربه فقال: " لِمَاذَا لاَ تَغْفِرُ

---

(١) مز: (٨٦: ٥- ١٠).

(٢) إر: (٣١: ٣٤).

(٣) مي: (٧: ١٨, ١٩).

(٤) خر: (١٥: ٣).

(٥) عا: (٣: ٢).

(٦) يش: (٢٤: ١٩).

(٧) إش: (٢٢: ١٤).

(٨) نا: (١: ٢, ٣).

ذَنْبي، وَلاَ تُزِيلُ إِثْمِي "[١]، وقال: " إِنْ أَخْطَأْتُ تُلاَحِظُنِي وَلاَ تُبْرِئُنِي مِنْ إِثْمِي، وَإِنْ أَذْنَبْتُ فَوَيْلٌ لِي "[٢]، وفي موضع آخر من التوراة يذكر سِفْر إشعياء أنّ الربّ: " لاَ يَرْحَمُ يَتَامَاهُ وَأَرَامِلَهُ "[٣]، وهذا يخالف ويناقض ما ذكر آنفاً.

أما المسلمون:

فيعتقدون أنّ مهما عَظُمت ذنوب العبد فإنّ مغفرة الله ورحمته أعظم منها، بل أعظم من كلّ شيء، فلا يقنط من رحمة الله ولا ييأس من عفوه وغفرانه أحدٌ أبدًا[٤]، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[٦]، وورد في الحديث القدسي أنّ النبي (ﷺ) قال: (قالَ اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ إنكَ ما دعَوتَني ورجَوتَني غَفَرتُ لك على ما كانَ فِيكَ ولا أُبالِي، يا ابنَ آدمَ، لو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عنانَ السَّماءِ ثمَّ استَغفَرتني غَفرتُ لك ولا أُبالِي، يا ابنَ آدمَ، إنكَ لو أَتَيتَني بِقُرَابِ الأرضِ خَطايا ثمَّ أَتَيتَني لا تُشرِكُ بِي شَيئاً لأَتَيتُك بِقُرابِها مَغفِرةً) "[٧].

---

(١) أي: (٧: ٢١).

(٢) أي: (١٠: ١٤، ١٥).

(٣) إش: (٩: ١٧).

(٤) قال ابن قيم الجوزية: " إنّ النعيم والثواب من مقتضى رحمة الله (ﷻ) ومغفرته وبرّه وكرمه، وأمّا العذاب والعقوبة، فإنما هي من مخلوقاته، ولذلك لا يُسمّى الله (ﷻ) بالمُعاقِب والمُعذِّب بل يُفرِّق بينهما، فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته، حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾[الحجر : ٤٩، ٥٠]، والإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه وإحسانه، ولا يأتيه الشر إلا من نفسه، فما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه ". حادي الأرواح: (٢٦٤).

(٥) سورة الزمر: ٥٣.

(٦) سورة النجم: ٣٢.

(٧) **أخرجه**: الأمام أحمد في مسنده: (٣٥/ ٣٧٥) برقم (٢١٤٧٢)، والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب- فضل التوبة: (٥/٥٤٨) برقم (٣٥٤٠) وقال: حديث حسن، والدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب- إذا تقرب العبد: (٢/٤١٤) برقم (٢٧٨٨) من حديث أنس بن مالك وأبي ذر الغفاري (رضي الله عنهما).

المبحث الثاني
الاختلاف والتناقض في تشبيه الإله وتجسيمه

ويتضمن ثلاثة مطالب وهي على النحو الآتي:

- المطلب الأول: الاختلاف والتناقض في تشبيه الإله بالإنسان
- المطلب الثاني: الاختلاف والتناقض في تشبيه الإله بالحيوان
- المطلب الثالث: الاختلاف والتناقض في رؤية الإله وهيئته

المطلب الأول

الاختلاف والتناقض في تشبيه الإله بالإنسان

اختلفت الأسفار اليهودية في عقيدة تشبيه الإله بالإنسان وتجسيمه سبحانه, فهي تنزِّهه وتصفه بوصف حقّ تارة, وتشبِّهه بمخلوقاته وتجسِّمه تارة أخرى, فَوَرَد في سِفْر الخروج أنّ الله (ﷻ) مُنزّه عن مشابهة أيّ شيء وأنه لا مثيل له في الأرض, فيقول: " يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ... إِنَّهُ لَيْسَ مَثِيلٌ لِي فِي كُلِّ الأَرْضِ "(١), وقال موسى (عليه السلام) واصفاً الربّ في سِفْر التثنية إنه: " لَيْسَ مِثْلُ اللهِ "(٢).

ويذكر سِفْر إشعياء أنّ الربّ أنكر على بني إسرائيل تشبيهه وتسويته بغيره, فقال: " فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ... فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي فَأُسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ: ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ؟ "(٣) وقال الربّ مُوبِّخاً لهم في السِّفْر نفسه: " بِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي وَتُسَوُّونَنِي وَتُمَثِّلُونَنِي لِنَتَشَابَهَ! "(٤), وفي غير موضع من الأسفار تذكُر التوراة أنّ داود (عليه السلام) وصف الربّ فقال: " قَدْ عَظُمْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُكَ وَلَيْسَ إِلهٌ غَيْرَكَ حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا "(٥), وقال سليمان (عليه السلام): " أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، لاَ إِلهَ مِثْلُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ "(٦), ويقول إرميا: " لاَ مِثْلَ لَكَ يَا رَبُّ! عَظِيمٌ أَنْتَ... لَيْسَ مِثْلَكَ "(٧).

وسرعان ما تُخالف الأسفار بعضها بعضاً, إذ ذهبت بعض الأسفار اليهودية إلى تشبيه الله (ﷻ) سبحانه بأحد مخلوقاته وهو الإنسان, وهذا يناقض ما ورد آنفاً, حيث يروي سِفْر التكوين في مطلع حديثه عن خلق آدم (عليه السلام) فيقول: " خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى

---

(١) خر: (٩: ١٤).

(٢) تث: (٣٣: ٢٦).

(٣) إش: (٤٠: ١٨- ٢٦).

(٤) إش: (٤٦: ٥).

(٥) ٢صم: (٧: ٢٢), وينظر: ١أخ: (١٧: ٢٠).

(٦) ٢أخ: (٦: ١٤).

(٧) إر: (١٠: ٦, ٧).

شَبَهِ اللهِ! عَمِلَهُ ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ وَبَارَكَهُ وَدَعَا اسْمَهُ آدَمَ "[١], ثم بعد ذلك يفصل السِّفر نفسه خَلْق الله (ﷻ) للأشياء وجعل كلّ واحدة منها كجنسها, فيقول: " لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا... فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا... وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا![٢] فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ ذَكَرًا وَأُنْثَى "[٣].

ولم تكتفِ الأسفار بتصوير الربّ وتشبيهه بالإنسان بل عملت على تشبيه ووصفه سبحانه كراعٍ للغنم, فَوَرَد في سِفْر إشعياء: " هُوَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ... كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ "[٤]. وتُجسِّم نصوص التوراة – كما رسمها كتبة الأسفار – صورة هذا التشابه, حيث تروي أنّ الربّ: " شَفَتَاهُ مُمْتَلِئَتَانِ سَخَطًا, وَلِسَانُهُ كَنَارٍ آكِلَةٍ, وَنَفْخَتُهُ كَنَهْرٍ غَامِرٍ, يَبْلُغُ إِلَى الرَّقَبَةِ "[٥], " لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ, وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ, وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ, وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَة "[٦], " صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ, وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ "[٧], " وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْحُمَّى "[٨], " وَبِرِيحِ أَنْفِكَ تَرَاكَمَتِ الْمِيَاهُ "[٩], " يَقُولُ الرَّبُّ... أَحْشَائِي أَحْشَائِي! تُوجِعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي

---

(١) تك: (٥: ١, ٢).

(٢) قال ابن حزم معلقاً على هذا النص: " لو لم يقل (إلا كصورتنا) لكان له وجه حسن ومعنى صحيح ، وهو أن يضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق، كما تقول هذا عمل الله، وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة الله أي تصوير الله، والصفة التي انفرد بملكه وخلقها، لكن قوله (كشبهنا) منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل، وأوجب شبه آدم لله عز وجل، ولا بد ضرورة. وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل، إذ الشبه والمثل معناهما واحد، وحاشا لله أن يكون مثل أو شبه ". الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٢٠٢/١).

(٣) تك: (١: ٢٤- ٢٧), (٩: ٦).

(٤) إش: (٤٠: ١٠, ١١), وربما كان هذا ناتجاً من تأثرهم ببعض الديانات الوثنية, وهذا ما يراه البعض, حيث قالوا: " وهذا نابع من تأثر اليهود بالطور الوثني في الديانات القديمة وخاصة عند البابليين الذين كانوا يقولون بمشابهة الآلهة بالبشر، وتعتبر صفة التشبيه من أبرز الصفات وأهم الخصائص في الديانة البابلية ". فتحي محمد الزعبي, تأثر اليهود بالأديان الوثنية: ص(٥٣١).

(٥) إش: (٣٠: ٢٧, ٢٨).

(٦) دا: (٧: ٩).

(٧) ٢صم: (٢٢: ٩), ومز: (١٨: ٨).

(٨) حب: (٣: ٥).

(٩) خر: (١٥: ٨).

يَئِنُّ فِيَّ قَلْبِي, لاَ أَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ "[1], " لَبِسَ خُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ "[2], " عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ "[3], " نَزَلَ ضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ "[4].

فالإثبات بأنّ لله رأساً, وله شعر, وهو يلبس خوذة على رأسه, وله جسد يلبس فوقه ملابس بيضاء, وله أذن وعينان وأجفان, وله أنف يصعد منه دخان, وفم يخرج منه ناراً, وله رجلان وشفتان ولسان وزفير, وأحشاء تمرض وتؤلمه, وهو يتمثل في محادثته لموسى رجلاً مثله؛ لدلالات واضحة وصريحة على تشبيه الإله بالإنسان وتجسيده[5].

أما المسلمون:

فصرحوا بأنّ اللّه تعالى ليس كمثله شيء، متنزه سبحانه عن مشابهة خلقه, لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، موصوف بصفات الكمال، منزه عن صفات النّقص: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾[6], ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[7], ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[8], قال أبو حنيفة (رحمه الله): " لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء؛ بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئاً, تبارك الله تعالى رب العالمين "[9].

وأورد الذهبي عن الإمام الشافعي أنه قال في حديثه عن صفات الله (ﷻ): " نثبت الصفات كما جاء بها القرآن ووردت بها السُّنة, وننفي التشبيه عنه سبحانه كما نَفى عن نفسه فقال: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ "[10].

---

(١) إر: (٤: ١٧: ١٩).

(٢) إش: (٥٩: ١٧).

(٣) مز: (١١: ٤).

(٤) ٢صم: (٢٢: ١٠).

(٥) لمزيد بيان **ينظر**: د. أحمد الحُوفي, حجية التوراة: ص(١٥), مؤسسة الخليج العربي, القاهرة, ط١, ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٦) سورة الشورى: ١١.

(٧) سورة الإخلاص: ٤.

(٨) سورة مريم: ٦٥.

(٩) ابن أبي العز الحنفي, شرح العقيدة الطحاوية: (٣١٣/١), والآلوسي, جلاء العينين: (٤٢٢/١).

(١٠) الذهبي, سير أعلام النبلاء: (٣٤١/٢٠), ومحمد العقيل, منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة: ص(٣٣٥), ولمزيد بيان **ينظر**: الموسوعة الفقهية الكويتية: (٥٦/١٤), دار السلاسل, الكويت, ط٢, ١٤٢٧هـ.

المطلب الثاني
الاختلاف والتناقض في تشبيه الإله بالحيوان

ذكرت التوراة أنّ الله (ﷻ) مُنـزَّه عن مشابهة جميع مخلوقاته, وأنه سبحانه لا مثيل له – وهو الحقُّ – ولكن سرعان ما نُقضت هذه العقيدة وثبت ضدّها بنصوص الأسفار الأخرى, إذ شبَّهت التوراة صورته تعالى بالإنسان وأظهرته بمظهر لا يليق بجلاله وكماله, ولم يكتفِ كُتّاب الأسفار بذلك, بل عملوا على تشبيهه سبحانه بالحيوانات, ومن ذلك ما ورد في سِفْر إرميا إذ يروي في معرض حديثه عن الربّ, أنه يزمجر, ويزأر, فيقول السِّفْر: " **الرَّبُّ مِنَ الْعَلاَءِ يُزَمْجِرُ**[(١)], **وَيُطْلِقُ صَوْتَهُ, يَزْأَرُ زَئِيرًا**[(٢)] **عَلَى مَسْكَنِهِ** "[(٣)], وورد في سِفْر الأمثال: " **رُعْبُ الْمَلِكِ كَزَمْجَرَةِ الأَسَدِ** "[(٤)].

وتستعرض الأسفار اليهودية في موضع آخر أسماء الحيوانات, وتَنسبُ في طياتها أفعال الربّ إليها, فهي تُشبِّهُه – سبحانه – بالأسد[(٥)], وبالنمر, والدُّبّة, واللبوة, والثور

---

(١) الزَّمْجَرَةُ: الصوت، وخصّ بعضهم به الصوت من الجَوْف, ويقال للرجل إذا أكثر الصَّخَبَ والصياحَ والزَّجْرَ سمعت لفلان زَمْجَرَةً, وقيل زمجرة كلّ شيء: صوته. **ينظر:** ابن سيده, المخصص: (٢/٢٨٣), وابن منظور, لسان العرب: (٣/١٨٦٠).

(٢) الزَّئيرُ: صوت الأسد من صَدرِه كالتَّزَؤُر, وزأر زئيراً: صاح وغضب. **ينظر:** الجوهري, الصحاح: (٤/٤١), والفيروزآبادي, القاموس المحيط: (٢/٧٠), والزّبيدي, تاج العروس: (٢/٢٣٤).

(٣) إر: (٢٥: ٣٠).

(٤) أم: (٢٠: ٢).

(٥) ورد في التلمود أنّ الله (ﷻ) بعد ما اعترف بخطئه في خراب الهيكل, حزن حُزناً شديداً وقال: " **تباً لي لأني صرَّحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل... فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد** ". ولم يُشبِّه حاخاماتهم زئير الله (ﷻ) بأيّ أسد, ولكن شبهوه بأسد غابة (آلاي) الذي تقول عنه إحدى الأساطير: " إنّ إمبراطور روما أراد أن يراه وأمر أن يحظروه, فلما كان على بعد أربعمائة فرسخ منه زأر الأسد زأرة واحدة هدمت أسوار روما وأجهضت النساء الحبالى, ولما صار على بعد ثلاثمائة فرسخ زأر زأرة أخرى أوقعت أضراس أهل روما, وسقط الإمبراطور من فوق عرشه على الأرض مغشياً عليه!! فلما أفاق طلب أن يعود هذا الأسد إلى مكانه فوراً ". **ينظر:** الدكتور يوسف نصر الله, الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص(٥٦), وإبراهيم الدسوقي عبد الرحمن, خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود: ص(٢١٤), دار الكتاب العربي, القاهرة – مصر, ط١, ٢٠٠٨م.

الوحشي, وغير ذلك[١], وهذا ما نصّ عليه سِفْر هوشع, إذ يروي أنّ الربّ وصف نفسه له, فقال: " **وَأَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ, وَإِلهًا سِوَايَ لَسْتَ تَعْرِفُ، وَلاَ مُخَلِّصَ غَيْرِي... فَأَكُونُ لَهُمْ كَأَسَدٍ, أَرْصُدُ عَلَى الطَّرِيقِ كَنَمِرٍ, أَصْدِمُهُمْ كَدُبَّةٍ مُثْكِلٍ، وَأَشُقُّ شَغَافَ قَلْبِهِمْ وَآكُلُهُمْ هُنَاكَ كَلَبْوَةٍ, يُمَزِّقُهُمْ وَحْشُ[٢] الْبَرِّيَّةِ** "[٣], ويُشبِّه سِفْر العدد سرعة الربّ بالثور الوحشي, فقال: " **اَللهُ أَخْرَجَهُ مِنْ مِصْرَ, مِثْلُ سُرْعَةِ الرِّئْمِ**"[٤]. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

---

(١) تذكر الشريعة الشفوية – التلمود – في طيّاتها, أنّ الذي يحلف يميناً غير قانوني يحتاج إلى من يحلله عن يمينه, وإلا يعدُّ حماراً, و لم يُستثنَ أحدٌ من هذا الحكم, فيروي التلمود أنّ الربّ أخطأ وحلف يميناً غير قانوني, حيث يقول: " **وقد سمع أحد العقلاء من الإسرائيليين الله تعالى يقول: من يحلّلني من اليمين التي أقسمت بها؟ ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلّه أحد منها اعتبروه حماراً** ". **ينظر**: يوسف نصر الله, الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص(٥٧).

(٢) وَحْش: وهي لفظة تستعمل لجميع الحيوانات, وقيل يراد بالوحوش أحياناً الوحش البري من أكلة العشب, ولكن الغالب تطلق على ما كان من الضواري, وقد يكون الوحش نجساً أو طاهراً حسب الشريعة الموسوية, وتطلق كلمة وحش على القوي الذي من شأنه التخريب والتدمير والاستبداد بالشر . **ينظر**: تلك: (٣: ١٤, ٩: ١٠), وقاموس الكتاب المقدس: ص(١٠١٩).

(٣) هو: (١٣: ٤– ٨).

(٤) عد: (٢٢: ٢٣), والرِّئْم: حيوان يرجح بأنه الأوروخس, وهو نوع من الثور وجد قديماً غير أنّه انقرض من العالم, له قوة هائلة ولا يمكن إحناء عنقه للنير أو تسخيره لخدمة الإنسان في الأعمال الزراعية. والكلمة العبرانية المترجمة هنا بالرِّئم ترجمت بالثور الوحشي، أو بالبقر الوحشي. **ينظر**: قاموس الكتاب المقدس: ص(٣٩١).

– زيادة على هذه التشبيهات السمجة, فقد أضاف إليها الكتاب المقدس في العهد الجديد تشبيهاً آخر, إذ شبه يوحنا في سِفْر الرؤيا الإله بالخروف المذبوح وله سبعة قرون وسبع أعين, فقال: " **وَنَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي الْوَسَطِ بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ الأَرْبَعَةِ وَالشُّيُوخِ, خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ, وَكَانَتْ لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ، وَسَبْعُ أَعْيُنٍ تُمَثِّلُ أَرْوَاحَ اللهِ السَّبْعَةَ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَى الأَرْضِ كُلِّهَا** "[رؤ: ٥: ٦]. ويُشير يوحنا إلى عشرة ملوك من بني إسرائيل؛ فيقول: " **وَهؤُلاَءِ سَيُحَارِبُونَ الْخَرُوفَ، وَالْخَرُوفُ يَغْلِبُهُمْ، لأَنَّهُ رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ** "[رؤ: ١٧: ١٤], فكيف يستطيع الإله أن يغلبهم وهو قد وُصف كأنه خروف مذبوح! ولو أسلمنا جدلاً أنّ تشبيه إلههم بالخروف أرادوا به كناية عن الوَداعة والرِّقة والاستسلام لما يحمله الخروف من الصفات التي تميزه عن غيره من الحيوانات, فإنّ هذا التشبيه غير لائق لأيِّ إله يحمل صفة الإلوهية.

المطلب الثالث

الاختلاف والتناقض في رؤية الإله وهيئته

تُحدِّثنا العقيدة اليهودية عن الإله العظيم فتذكر في بعض أسفارها أنّ الإنسان لا يستطيع أن يرى الربّ وهيئته ولا يقدر على ذلك, وهذا ما جاء نصُّه في سِفْر الخروج إذ يروي أنّ موسى (عليه السلام) حينما صعد الجبل طلب رؤية ربه, فقال: " **أَرِنِي مَجْدَكَ؟ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى... لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ... وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى** "[1], ووصف بنو إسرائيل الربّ في موضع آخر من الأسفار بأنه إله محتجب, فقالوا: " **حَقًّا أَنْتَ إِلهٌ مُحْتَجِبٌ يَا إِلهَ إِسْرَائِيلَ الْمُخَلِّصَ** "[2].

والتوراة تناقض بعضها بعضاً إذ أثبتت بعض الأسفار أنّ كثيراً من الأنبياء رأوا الله (عز وجل) في الدنيا وكلّموه وأكلوا وشربوا معه وجهاً لوجه[3], وهذا يناقض ما ذُكر آنفاً. فيروي سِفْر التكوين أنّ الربّ ظهر لإبراهيم وكلّمه, فيقول: " **وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ... وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ** "[4], ويذكر السِّفْر نفسه أنّ إبراهيم رأى ربه مرة أخرى وهو ابن تسع وتسعين, فيقول : " **وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ, سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً** "[5], ويستمرُّ سِفْر التكوين في الحديث عن الأنبياء الذين رأوا الله (عز وجل) فيذكر أنّ إسحاق (عليه السلام) قد رأى ربه عند ذهابه إلى أبيمالك[6], فيقول: " **فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ... وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ** "[7], وكذلك يَذكر السِّفْر يعقوب (عليه السلام) حين صارع

---

(١) خر: (٣٣: ٢٠).

(٢) إش: (٤٥: ١٥).

(٣) **ينظر**: الصفحة القادمة: ص(١١٥).

(٤) تك: (١٢: ٦, ٧).

(٥) تك: (١٧: ١).

(٦) أَبِيمَالِك: اسم عبري معناه ((الأب ملك)) هو احد ملوك فلسطين, عاش في عصر إسحاق وتكرّر لإسحاق معه أمر مشابه لما حدث لأبيه إبراهيم (عليه السلام) وأُمّه سارة؛ فادعى إسحاق أنّ رفقة زوجته هي أخته ولما كُشفت حقيقة الأمر أنّبه أبيمالك لذلك. **ينظر**: قاموس الكتاب المقدس: ص(٢٣).

(٧) تك: (٢٦: ١, ٢).

الربّ, فيقول: " فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ فَنِيئِيلَ[١] قَائِلاً لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ! وَنُجِّيَتْ نَفْسِي "[٢] وفي موضع آخر: " وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ وَبَارَكَهُ "[٣].

فكيف وفّق كُتّاب الأسفار بين قول الربّ لموسى: " لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ... وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى "[٤] وبين قول يعقوب: " أَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ! وَنُجِّيَتْ نَفْسِي "[٥], وهذا ما لم نجد له تعليلاً ولا تأويلاً في كتبهم.

وجاء في سِفْر الخروج أنّ موسى وهارون وجملة من شيوخ بني إسرائيل رأوا الربّ وأكلوا وشربوا معه, فيقول: " ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ[٦] وَأَبِيهُو[٧] وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ... وَلكِنَّهُ لَمْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ, فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا "[٨].

ويذكر السِّفْر نفسه وفي غير موضع أنّ موسى (عليه السلام) رأى ربه وكلمه وجهاً لوجه تارة, ولم يسمح له إلا من الخلف تارة أخرى, فيقول: " وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ "[٩], ويقول السِّفر في موضع آخر: " وَقَالَ الرَّبُّ... أَنِّي

---

(١) فَنِيئِيل: اسم عبري معناه ((وجه الله)) مخيم شرقي الأردن, وقد أعطاه هذا الاسم يعقوب؛ لأنه هناك نظر الله وَجهاً لوجه ونُجِّيت نَفسه. **ينظر**: قاموس الكتاب المقدس: ص(٦٩٨).

(٢) تك: (٣٢: ٣٠).

(٣) تك: (٣٥: ٩).

(٤) خر: (٣٣: ٢٠).

(٥) تك: (٣٢: ٣٠).

(٦) نَادَاب: اسم عبري معناه ((كريم)) أكبر أبناء هارون الأربعة وأمه إليشابع, وكان أحد القليلين الذين سمح لهم الربّ بالاقتراب منه على جبل سيناء في أثناء التيه. **ينظر**: خر: (٢٤: ١), وقاموس الكتاب المقدس: ص(٩٤٥).

(٧) أَبِيهُو: اسم عبري معناه ((الأب هو)) وهو الابن الثاني لهارون, لم يكن له نَسل, وقد مات هو وأخوه الأكبر ناداب عندما قدّما ناراً غريبة أمام الربّ. **ينظر**: لاو: (١٠: ١, ٢), والمصدر السابق: ص(٢٤).

(٨) خر: (٢٤: ٩- ١١).

(٩) خر: (٣٣: ١١).

أَضَعُكَ فِي نُقْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ, وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي, وَأَمَّا وَجْهِي فَلاَ يُرَى "[1].

وتروي الأسفار قصة نبي الله إشعياء واضطرابه في رؤية ربه وخوفه من الهلاك الذي كان يتوعّد من يراه بالموت, فيقول: " وَفِي سَنَةِ... رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ... فَقُلْتُ وَيْلٌ لِي إِنِّي هَلَكْتُ, لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ "[2].

وورد في سِفْر الملوك أنّ نبي الله ميخا رأى الربّ جالساً على كرسيه, فيقول: " قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ "[3].

ولم تقتصر رؤية الله (ﷻ) في التوراة على الأنبياء والصفوة المختارة من بني إسرائيل فحسب، بل حصلت لكلّ الشعب كما في سِفْر اللاويين, إذ يقول: " فَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الشَّعْبِ "[4], ويذكر سِفْر العدد على لسان موسى (عليه السلام) تأكيداً لما ذُكِر آنفاً, فيقول: " قَدْ سَمِعُوا أَنَّكَ يَا رَبُّ فِي وَسَطِ هذَا الشَّعْبِ، الَّذِينَ أَنْتَ يَا رَبُّ قَدْ ظَهَرْتَ لَهُمْ عَيْنًا لِعَيْنٍ "[5].

أما المسلمون:

فجاء في المجموع: " أنّ كلّ من ادعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة[6]؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أنّ أحداً من المؤمنين لن يرى ربه

---

(١) خر: (٣٣: ٢٢, ٢٣).

(٢) إش: (٦: ١- ٥).

(٣) ١مل: (٢٢: ١٩).

(٤) لا: (٩: ٢٣).

(٥) عد: (١٤: ١٤).

(٦) **ينظر**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري ت (٣٢٤هـ), الإبانة عن أصول الديانة: (٤٧/١), دار الأنصار, القاهرة, ط١, ١٣٩٧هـ, تحقيق: د. فوقية حسين محمود, وينظر: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ت (٤٥٠هـ), البيان والتحصيل: (٤٧٩/١٨), دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان, ط٢, ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م, تحقيق: د. محمد حجي وآخرين, وينظر: البيهقي, الاعتقاد: (١٢٣/١), وابن أبي العز الحنفي, شرح العقيدة الطحاوية: (١٦٩/١), والسفاريني, لوامع الأنوار البهية: (٢٥١/٢).

بعيني رأسه في الدنيا "[1]، وثبت ذلك في الحديث الصحيح أنّ النبي (ﷺ) ذكر الدَّجَّال وقال: (تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ)[2]، وهذا ما ذَهَبَتْ إليه أُمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) والجمهور[3].

ولا شك في أنّ رؤية الله (ﷻ) كانت حلماً لأوائلهم وأمنية إلا أنه تطوّر فيما بعد حتى أصبح مطلباً وشرطاً لإيمانهم فعاقبهم الله على ذلك, كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[4]، إلا أنّ اليهود فيما بعد حين دوّنوا التوراة أيّدوا ذلك المطلب والشَّرط وصدَّقوه ودوَّنوه في أسفارهم افتراء على الله[5].

أمّا قصة طلب موسى (عليه السلام) رؤية ربه فقد أوردها القرآن الكريم كاملة مفصلة, قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ

---

(١) ابن تيمية, مجموع الفتاوى: (٣/٣٨٩).

(٢) **أخرجه:** الإمام أحمد في مسنده: (٣٩/٧٦) برقم (٢٣٦٧٢), ومسلم في صحيحه, كتاب الفتن, باب- ذكر ابن صياد: (٤/٢٢٤٤) برقم (١٦٩), والترمذي في سننه, كتاب الفتن, باب- علامة الدجال: (٤/٥٠٨) برقم (٢٢٣٥) من حديث النواس بن سمعان, وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) روى البخاري في صحيحه, كتاب التفسير, سورة النجم: (٤/١٨٤٠) برقم (٤٥٧٤), ومسلم في صحيحه, كتاب الإيمان, باب- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾: (١/١٥٩) برقم (١٧٧) عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (مَن زَعَم أنّ مُحمَّداً (ﷺ) رَأى ربَّهُ فَقَد كَذَبَ), وفي رواية مسلم: (فقد أعظم على الله الفرية). ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام : ١٠٣], ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[الشورى : ٥١]. قال القاضي: والمشهور عند ابن مسعود وجماعة من المحدثين والمتكلمين أنّ رؤية الله تعالى في الدنيا ممتنعة لظاهر قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. وقال الحافظ ابن حجر: " دلّ سياق الحديث على أنّ رؤية الله (ﷻ) في الدنيا بالأبصار غير واقعة, لأنّ رؤية الله تعالى محجوبة في الدنيا عن كلّ أحد ". **ينظر:** القاضي عياض, إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: (١/٣٤٣), وابن حجر, فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١/١٢٠).

(٤) سورة البقرة: ٥٥.

(٥) **ينظر:** د. سعود بن عبد العزيز الخلف, دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ص(٩٢), مكتبة أضواء السلف, الرياض, المملكة العربية السعودية, ط١, ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، قال المفسرون: قوله: ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أي: الآن، فقال الله تعالى له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾؛ بمعنى: لن تستطيع أن تراني الآن أو في الدنيا، ثم ضرب الله تعالى له مثلاً بالجبل حيث تجلى الله تعالى له فجعله دكاً، فلما رأى موسى (عليه السلام) ما حصل للجبل؛ علم أنه هو لا طاقة له برؤية الله، وَخَرَّ صَعِقاً لهول ما رأى، فلمّا أفاق من صعقته وثاب إليه عقله قال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عن سؤال الرؤية ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا تُرى في الدنيا[2].

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٢) **ينظر**: السمرقندي، بحر العلوم: (٥٦٣/١) الثعلبي، الكشف والبيان: (٢٧٥/٤)، والبغوي، معالم التنزيل: (٢٧٩/٣)، وابن عطية، المحرر الوجيز: (٥١٨/٢)، والرازي، مفاتيح الغيب: (٢٨٤/٣٢) والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٧٨/٧).

المبحث الثالث
الاختلاف والتناقض في وعد الله ووعيده ومكان وجود الإله

ويتضمن مطلبين وهما على النحو الآتي:

- المطلب الأول: الاختلاف والتناقض في وعد الله ووعيده
- المطلب الثاني: الاختلاف والتناقض في مكان وجود الإله

المطلب الأول

الاختلاف والتناقض في وعد الله ووعيده

وَصَفَت الأسفار اليهودية وعد الله (ﷻ) ووعيده, بأنه لا يتغير ولا يُنقض وهو الحقّ, فَذَكَرت بعض الأسفار أنّ الربّ عَهِد لنبيه داود (عليه السلام) أن يجعل نسله قائماً, وأن يمكن له في الأرض, فقال: " **وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ الَّذِي تَثْبُتُ يَدِي مَعَهُ... ولاَ يُرْغِمُهُ عَدُوٌّ وَابْنُ الإِثْمِ لاَ يُذِلُّهُ وَأَسْحَقُ أَعْدَاءَهُ... وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسْلَهُ... أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ وَلاَ أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي** "[1], وقال في موضع آخر: " **وَيَكُونُ لِدَاوُدَ وَنَسْلِهِ وَبَيْتِهِ وَكُرْسِيِّهِ سَلاَمٌ إِلَى الأَبَدِ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ** "[2], ثم ذكر الربّ أنّ هذا العهد الذي أعطاه لنبيه داود (عليه السلام) لا يتغير ولا يُنقض, فقال: " **لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ... أَنِّي لاَ أَكْذِبُ** "[3].

وجاء في سِفْر القضاة: " **لاَ أَنْكُثُ عَهْدِي مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ** "[4], وفي غير موضع من التوراة يَذكر سِفْر التثنية أنّ الربّ لا ينقض ولا ينسى عَهْده الذي عَهِده ليعقوب ولأبنائه, فيقول: " **الرَّبُّ إِلهَكَ لاَ يَتْرُكُكَ وَلاَ يُهْلِكُكَ وَلاَ يَنْسَى عَهْدَ آبَائِكَ** "[5], ويروي السِّفْر نفسه بعض أوصاف الربّ سبحانه وبأنه حافظ العهد والإحسان, فيقول: " **هُوَ اللهُ, الإِلهُ, الأَمِينُ, الْحَافِظُ الْعَهْدَ, وَالإِحْسَانَ** "[6].

وسرعان ما ناقضت الأسفار بعضها بعضاً, إذ يروي سِفْر إرميا أنّ الربّ نَقَضَ عهده الذي عهده لداود (عليه السلام), فقال: " **إِنَّ عَهْدِي مَعَ دَاوُدَ عَبْدِي يُنْقَضُ، فَلاَ يَكُونُ لَهُ ابْنٌ مَالِكًا** "[7], بل تذكر الأسفار أنّ الربّ توعّد داود بالحرب والشّرّ, فقال: " **وَالآنَ لاَ**

---

(١) مز: (٨٩: ٢٠- ٣٣).

(٢) ١مل: (٢: ٣٣).

(٣) مز: (٨٩: ٣٤, ٣٥).

(٤) قض: (٢: ١).

(٥) تث: (٤: ٣١).

(٦) تث: (٧: ٩). **وينظر**: ٢أخ: (٦: ١٤), نح: (١: ٥), دا: (٩: ٤).

(٧) إر: (٣٣: ٢٠).

يُفَارِقُ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الأَبَدِ... هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ "[1], وورد في سِفْر المزامير أنّ الربَّ قال في حقِّ داود: " غَضِبْتَ عَلَى مَسِيحِكَ نَقَضْتَ عَهْدَ عَبْدِكَ نَجَّسْتَ تَاجَهُ فِي التُّرَابِ هَدَمْتَ كُلَّ جُدْرَانِهِ جَعَلْتَ حُصُونَهُ خَرَابًا... فَرَّحْتَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ "[2].

وجاء في سِفْر إرميا أنّ بني إسرائيل طلبوا من الربّ أن لا ينقض عهده معهم كما فعل مع داود (ﷺ), فيقول: " عَرَفْنَا يَا رَبُّ شَرَّنَا... لاَ تَهِنْ كُرْسِيَّ مَجْدِكَ, لاَ تَنْقُضْ عَهْدَكَ مَعَنَا "[3], بل تذكر التوراة في سِفْر اللاويِّين أنّ الربّ توعّد كلّ من سار مع أعدائه أن ينقض العهد معه ويُبيده, فيقول: " أَذْكُرُ مِيثَاقِي مَعَ يَعْقُوبَ، وَأَذْكُرُ أَيْضًا مِيثَاقِي مَعَ إِسْحَاقَ، وَمِيثَاقِي مَعَ إِبْرَاهِيمَ... وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ أَيْضًا مَتَى كَانُوا فِي أَرْضِ أَعْدَائِهِمْ... أُبِيدَهُمْ وَأَنْكُثَ مِيثَاقِي مَعَهُمْ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ "[4], ويروي سِفْر زكريا أنّ الربّ نقض عهده مع جميع أسباط بني إسرائيل, فيقول: " فَأَخَذْتُ عَصَايَ... لأَنْقُضَ عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ كُلِّ الأَسْبَاطِ "[5], وهذا يناقض ما ذُكر آنفاً.

أما المسلمون:

فيعتقدون أنّ الله (ﷻ) منزه عن إخلاف وعده ووعيده, لما في الخلف من العبث المنافي لحكمة الإله الحقّ, ولأنّه إله حقّ؛ فلا يكون كلامه إلاّ حقّاً[6], قال تعالى: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[7]، وقال جلّ وعلا: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[8]، وقال سبحانه: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[9].

---

(١) ٢صم: (١٢: ١٠, ١١).

(٢) مز: (٨٩: ٣٩, ٤٢).

(٣) إر: (١٤: ٢٠, ٢١).

(٤) لا: (٢٦: ٤٢- ٤٤).

(٥) زك: (١١: ١٠).

(٦) **ينظر:** ابن تيمية, مجموع الفتاوى: (١٤/٤٩٨).

(٧) سورة إبراهيم: ٤٧.

(٨) سورة الحج: ٤٧.

(٩) سورة الروم: ٦.

المطلب الثاني
الاختلاف والتناقض في مكان وجود الإله

اختلفت الشريعة اليهودية بنصوص بعض أسفارها حول مكان وجود الله (ﷻ), فهي تجعله في وسط بني إسرائيل تارة, وفي السماء تارة أخرى, إذ ورد في سِفْر التثنية أنّ الإله هو الذي في السماء وليس سواه, فيقول: " رَدِّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ لَيْسَ سِوَاهُ "(١), وجاء في سِفْر المزامير: " اَلرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ, الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ "(٢) وفي موضع آخر: " اَلرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ... وَمَمْلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ "(٣).

ويذكر سِفْر إرميا أنّ الربّ يملأ السماوات والأرض, وهو في كلّ مكان يرى الإنسان أينما حلّ وكان, فيقول: " إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَرَاهُ أَنَا... يَقُولُ الرَّبُّ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ "(٤), وورد في سِفْر أخبار الأيام أنّ سليمان (عليه السلام) كان يبسط يديه إلى السماء ويدعو الله (ﷻ), فيقول السِّفْر: " وَوَقَفَ سُلَيْمَانُ أَمَامَ مَذْبَحِ الرَّبِّ تُجَاهَ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، لَيْسَ إِلهٌ مِثْلَكَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَلاَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ، حَافِظُ الْعَهْدِ وَالرَّحْمَةِ... "(٥).

ولكن هذه العقيدة الصحيحة سرعان ما تناقضت في ركام أسفارهم وثبت ضدّها, إذ ذُكِر في التوراة أنّ الله (ﷻ) يسكن في وسط بني إسرائيل, ومن ذلك ما جاء في سِفْر الخروج حيث يروي أنّ الربّ قال: " وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمُ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لأَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ "(٦), وفي موضع آخر من التوراة يذكر سِفْر الملوك أنّ الربّ قال لسليمان (عليه السلام) عند بنائه البيت

---

(١) تث: (٤: ٣٩), وينظر: ١مل: (٨: ٢٣).

(٢) مز: (١١: ٤).

(٣) مز: (١٠٣: ١٩).

(٤) إر: (٢٣: ٢٤).

(٥) ٢أخ: (٦: ١٢- ١٤), (٢٠: ٦).

(٦) خر: (٢٩: ٤٥, ٤٦).

إني أقيم معك وأسكن في وسط بني إسرائيل, فيقول السِّفْر: " وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى سُلَيْمَانَ قَائِلاً هذَا الْبَيْتُ الَّذِي أَنْتَ بَانِيه... فَإِنِّي أُقِيمُ مَعَكَ كَلاَمِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَى دَاوُدَ أَبِيكَ، وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ, وَلاَ أَتْرُكُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ "[١].

وورد في سِفْر حزقيال أنّ الإله يشير إلى وسط بني إسرائيل بأنه مكان سكناه الأبدي, فيقول: " يَا ابْنَ آدَمَ، هذَا مَكَانُ كُرْسِيِّي وَمَكَانُ بَاطِنِ قَدَمَيَّ حَيْثُ أَسْكُنُ فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ "[٢], ويُحدِّد سِفْر يُوئيل مسكن الربّ في وسط بني إسرائيل, ويذكر أنه يقع في جبل صهيون[٣], إذ يقول: " وَالرَّبُّ يَسْكُنُ فِي صِهْيَوْنَ "[٤], وجاء في سِفْر المزامير أنّ الجبل الذي سكن فيه الربّ هو جبل باشان[٥], وأنه جبل الربّ, وأنّ الله (ﷻ) اختاره للسكن فيه إلى الأبد, فيقول: " جَبَلُ اللهِ جَبَلُ بَاشَانَ, جَبَلُ أَسْنِمَةٍ... اشْتَهَاهُ اللهُ لِسَكَنِهِ؟ بَلِ الرَّبُّ يَسْكُنُ فِيهِ إِلَى الأَبَدِ "[٦].

أما المسلمون:

فيرون أنّ: " ما زالت الأمم عربها وعجمها في جاهليتها وإسلامها معترفة بأنّ الله تبارك وتعالى في السماء "[٧], وقد صحَّ عن رسول الله (ﷺ) أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها فقال لها: (أينَ اللهُ؟ قَالت: فِي السَّمَاءِ, قَال: مَن أنا ؟ فَقَالت: أنتَ رسُولُ

---

(١) ١مل: (٦: ١١- ١٣).

(٢) حز: (٤٣: ٧).

(٣) سَبق التعريف به. **ينظر**: الكتاب: الفصل التمهيدي: ص(٢٩).

(٤) يؤ: (٣: ٢١).

(٥) بَاشَان: اسم عبري معناه ((أرض مستوية)) وهي مقاطعة في أرض كنعان واقعة شرقي الأردن بين جبلي حرمون وجلعاد, وسميت باشان من جبل في تلك البلاد, وهو مؤلف من صخور وأتربة بركانية, وقد ذكر هذا الجبل بنحو ستين مرة في الكتاب المقدس. **ينظر**: مز: (٦٨: ١٥), وياقوت الحموي, معجم البلدان: (٣٢٢/١), وقاموس الكتاب المقدس: (١٥٩).

(٦) مز: (٦٨: ١٥, ١٦).

(٧) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي ت (٧٤٨هـ), العلو للعلي الغفار: (١٩٦/١), مكتبة أضواء السلف, الرياض, ط١, ١٩٩٥م, تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود.

اللهِ, فَقَال رسُولُ اللهِ: أعتِقهَا فإنَّها مُؤمِنَة)[1], قال الإمام الشافعي: " فلما وصفت الإيمان, وأنّ ربها تبارك وتعالى في السماء قال (ﷺ) اعتقها "[2], وثبت عن الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه) أنه قال: " إنّ الله سبحانه وتعالى في السماء, وعلمه في كلّ مكان لا يخلو منه مكان "[3], وقيل لابن المبارك كيف نعرف ربّنا ؟ قال: " بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه "[4], وبه قال الإمام أحمد[5], وقال الإمام أبو حسن الأشعري: " إنّ الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات "[6].

---

(١) **أخرجه**: مالك بن أنس أبو عبد الله بن عامر الأصبحي ت (١٧٩هـ), الموطأ, كتاب العتق والولاء, باب- ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة: (٧٧٦/٢) برقم (١٤٦٨), دار إحياء التراث العربي, مصر, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, وأخرجه: أحمد في مسنده: (١٧٦/٣٩) برقم (٢٣٧٦٢), ومسلم في صحيحه, كتاب المساجد, باب- تحريم الكلام في الصلاة: (٣٨١/١) برقم (٥٣٧), وأبو داود في مسنده, كتاب الصلاة, باب- تشميت العاطس: (٣٤٩/١) برقم (٩٣١) من حديث معاوية بن الحكم السلمي (رضي الله عنه).

(٢) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت (٢٠٤), الأمّ: (٢٩٨/٥), دار الفكر, بيروت, ط٢, ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م, **وينظر**: البيهقي, الأسماء والصفات: (٣٢٦/٢).

(٣) عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ت (٢٤١هـ), السنة: (١٧٤/١), دار ابن القيم, الدمام, ط١, ١٤٠٦هـ, تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني, **وينظر**: ابن عبد البر, التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١٣٨/٧), والذهبي, العلو للعلي الغفار: (١٨٣/١).

(٤) عبد الله بن أحمد, السنة: (١١١/١), وأبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي السجستاني ت (٢٨٠هـ), نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد: (٢٢٤/١), مكتبة الرشيد, الرياض, ط١, ١٩٩٨م, تحقيق: د.رشيد بن حسن الألمعي, **وينظر**: البيهقي, الأسماء والصفات: (٣٣٦/٢).

(٥) أحمد بن حنبل, العقيدة- رواية أبي بكر الخلال: (١٠٨/١), دار قتيبة, دمشق, ط١, ١٤٠٨هـ, تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان, **وينظر**: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ت (٦٢٠هـ), إثبات صفة العلو: (١١٨/١), الدار السلفية, الكويت, ط١, ١٤٠٦هـ, تحقيق: بدر عبد الله البدر,

(٦) أبو الحسن الأشعري, الإبانة عن أصول الديانة: (١٠٥/١). ولمزيد بيان **ينظر**: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ت (١٥٠هـ), الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر: (١٣٥/١), مكتبة الفرقان, عجمان, ط١، ١٩٩٩م, والرازي, مفاتيح الغيب: (٢١٦/٢٤), والسفاريني, لوامع الأنوار البهية: (١٩٩/١), والآلوسي, جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: (٤٣٩/١).